The Concept of Spacetime and the Representation of the Other in Samira Al-Mana's Novels

Researcher : Zainab Manaf Daoud
University of Basrah / College of Arts
E-mail: 10zainabi01@gmail.com

Supervisor : Prof. Dr. Aqil Abdul Hussein Khalaf
University of Basrah / College of Arts
E-mail : akeel.khalf@uobasrah.edu.iq

Abstract:

This research delves into the concept of Spacetime and its role in defining the non-conventional Other in the novels of Samira Al-Mana. The essence of the study lies in employing relative Spacetimes, deviating from the structuralist lesson. Consequently, the concepts of time and space are liberated from their absolute values, acquiring social, political, and religious dimensions that bestow upon the self a gradual transformation from one state to another.

Key words: Spacetime , Other, Bakhtin , Samira Al-Mana .

الزمكان ومستويات تمثيل الآخر في روايات(سميرة المانع)(*)

الباحثة: زينب مناف داود **أ.د.عقيل عبد الحسين خلف**
جامعة البصرة / كلية الاداب
E-mail:akeel.khalf@uobasrah.edu.iq E-mail: 10zainabi01@gmail.com

الملخص:

يشتغل هذا البحث على مفهوم الزمكان ودوره في تحديد الآخر غير النمطي في روايات سميرة المانع، فيكون جوهر العملية هو توظيف الزمكان النسبي وعده خروجا عن الدرس البنيوي، إذ يتحرر مفهوما الزمان والمكان من قيمتهما المطلقة، فيكون لهما قيم وإبعاد اجتماعية وسياسية ودينية تمنح على إثرها_ الذات_ تدرجا في تغييرها عن آخرها.

الكلمات المفتاحية: الزمكان، الآخر، الكرونوتوب، باختين، سميرة المانع.

* بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة: **التمثيل السردي في روايات سميرة المانع .**

مفهوم الكرونوتوب الزمكانية :

الكرونوتوب(chronotope) الزمكانية. كمصطلح يعبر عن اتحاد مفهومي الزمان والمكان، وعدم انفصالهما، فقد استخدم في علم الفيزياء بعد اكتشاف ألبرت أينشتاين نظرية(النسبية) وخروجه عن قواعد الفيزياءالتقليدية التي تؤمن بمطلقية الزمن، وباعتماده الزمن بعدا رابعا للمكان(الطول،العرض،الارتفاع) مشكلا زمكانات مختلفة للواقع المادي، لأنه دون الزمن لا يمكن قياس التغيرات التي تطرأ على المكان[١]، ومن خلال هذا المنطلق استعاد باختين هذا المصطلح بتوظيفه في مجال الأدب فما ((يحدث في الزمكان الأدبي هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل مدرك ومشخص. الزمان هنا يتكثف، يتراص، يصبح شيئاً مرئياً؛ والمكان أيضاً يتكثف، يندمج في حركة الزمن والموضوع بوصفه حدثاً أو جملة أحداث والتاريخ. علاقات الزمان تتكشف في المكان، والمكان يدرك ويقاس بالزمان. هذا التقاطع بين الأنساق والامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني))[٢]، فالتأكيد على الاعتماد المتبادل بين الزمان والمكان يخلق أشكالاً من(التصورات الفنية)في النصوص الأدبية تعمل على صياغة الواقع والعالم طبقا لكرونوتوبات مختلفة من مركبات زمكانية [٣].

ويعد استحضار باختين لمفهومي(الزمان والمكان) اللذين جرت مناقشتهما قديماً بالفهم الجديد لهما أمراً مهما، للكشف عن نوع هذا الارتباط، فقد تعارض مع فهم كانط للزمان والمكان، مستندا إلى الهيمنة القبلية للزمان على المكان، فشرط التصور القبلي لجميع الظواهر؛ لارتباطه بالعالم الداخلي للانفعالات والانطباعات والأفكار أي الحدس الداخلي[٤]. ممّا يجعل الفنان أو الكاتب محكوما بالفهم المسبق للتاريخ، حيث ساد على الأعمال الأدبية تأثير الظروف التاريخية، بدءاً من فهم أرسطو للمحاكاة، التي تقيد الكاتب بالتقليد التاريخي للأدب والفن مروراً بكانط.

وربط باختين (الزمكان) في تحديد القضية الإجناسية للرواية، فرأى أن الزمان والمكان الفعلي في الأدب جرت عملية استيعابهما في ظل ظروف تاريخية معينة، فصيغت بأشكال وقوالب فنية عكست الزمان والمكان الواقعي بصياغة أدبية، قد ترسخت بالتقليد في بادئ الأمر، وظلت مستمرة خلال التطور اللاحق للعيش الأدبي حتى فقدت أهميتها ومعناها، بذلك درس باختين تاريخية الأدب بتطور الشعر التاريخي إلى مختلف الأنواع الجنسية للرواية الأوربية[٥].

يعد باختين بطرحه هذا المصطلح خروجا عن الدرس البنيوي أو الشكلاني، جاعلا من(الزمكان) مقولة شكلية، ومضمونية تضم في طياتها قيماً، تحمل بعداً اجتماعياً. فالزمان والمكان يربطان الأحداث والشخصيات بالتاريخ، يمثلان العامل الأساس في تحديد السياقات التي ترد فيها الأعمال الأدبية، لاشتمالهما على البعد الإنساني[٦].

مفهوم الآخر:

يعد مفهوم(الآخر) كل ما يتعلق بخارج حدود الذات، وما كونته من تصورات ذاتية عن الآخر،[٧] المختلف عنها في الجنس أو العرق أو الطبقي أو الانتماء الديني أو السياسي[٨]، فالغيرية أو الآخرية كل ما هو غريب عن الذات تشابك مع سماتها الجسدية وطريقتها، التي اختزلت بنظام خاص رسخ فيها هذه التصورات القابلة للتحول والتغير[٩]، فهو ليس ثابتا بصورة مطلقة، متحددا بالقياس إلى فرد أو مجموعة من الناس، فقد يكون الآخر رجلا بالنسبة إلى النساء، حيث تضيق بها دائرة العلاقة مع الآخر، أو يكون الفقراء بالنسبة إلى الأغنياء، أو الغرب بالنسبة إلى المجتمع الشرقي، فتتسع دائرة الغيرية ويطغى عليها سمة التعميم[١٠].

والآخر مصطلح ساد في الدراسات الثقافية كالنقد النسوي والاستشراق،ودراسة الخطاب، سواء أكان الاستعماري أم ما بعد الاستعماري[١١]، حيث((تفترض ثنائية الذات/الآخر أن النفس الذاتية هي التي تحدد كل شيء غريب عنها بأنه آخر تقع في المركز من التجربة الشخصية، وقد أدت هذه الثنائية، التي تصاغ أحياناً في مصطلحات أخرى مثل المركز/الهامش أو المهيمن/الصامت دوراً مهماً في النقد النسوي))[١٢]، كما قد شاع توظيفه في الفلسفة المعاصرة، فيرى ريكور أن الآخرية هي ما تمنح الذات بعدها (الأنطولوجي)، فالواقعية التي ترى فيها الذات نفسها من خلال انفتاحها على الآخر، فهو غير مضاف لها[١٣]، إن تعدد أنواع الآخر تبعاً للمرجعيات الثقافية، لا يجعل منه، مفهوماً عائماً، ولذا يقترح تودوروف محددات لضبط أشكاله تبعا لنوع علاقة الذات معه، أما بالاحتكام القيمي(على صعيد الأخلاق) ، كأن يكون الآخر جيداً أم سيئاً، أو بالقياس على فعل التقرب منه (على الصعيد العلمي) أي أتقبل هذا الآخر واندمج معه أم أفرض عليه عملية تمثيل ذاتي، عبر اندماج الآخر مع الذات بفعل التهجين الثقافي، كأن أكون خاضعا له، أو أن أتخذ منه موقف التجاهل أو الحياد[١٤].

أنواع الآخر:

ظهر الآخر في أنواع متعددة، واختلف حسب النظرة التي رأت من خلالها الذات لآخرها، فقد عدت نظرة الذات إلى آخرها، نظرة منتقصة لذاتها، لذا فهي تعتد بالآخر رغبة منها بالاكتمال عبر الامتزاج به، لذلك تكون لحظة مواجهة الذات أمام الآخر يشوبها القلق[١٥]، بناء على ذلك يستدعي علمية الكشف عن نوع الآخر وكيفية تشكله إلى وجود معيار يقاس على أساسه، ولا شك في أن هذا المعيار مختلف من لحظة إلى أخرى، وتبقى عملية تحديده إشكالية متجددة، لأنها ليست نظرة مجردة، أو محكومة بإطار وعي جمعي متفق عليه غالبا، وإنما هو سلسلة من المعطيات، والمستويات التي اعتمِدَ عليها رافقت سياقاتها الأدبية، كما قد عملت تحول التشكلات الغيرية أو الآخرية من مضمونها التصوري في الخيال إلى مظهر

تعبيري خطابي، متوافقين بارتباط المتخيل بمكونات هذا الجنس الأدبي، فهو تشكيل لغوي وأسلوبي خاضع لسياقات التأليف، ومحكوم بشروط الزمن الثقافي، والجغرافي، والبعد المعرفي الإنساني[١٦].

لا توجد حدود فاصلة مميزة تمنح الآخر هذا الاختلاف الذي يجعله نقيضاً للذات، فالفوارق الخارجية (السمات الظاهرة) قد لا تعد . بالضرورة . علامات فارقة لتميزه عن الغير[١٧]، وإنما يعتد بنسق من التصورات ترتب على أساسها تمثيل الآخر في أنواع:

١ . الآخر المعادي: مغاير لكل ما لا ينتمي إلى الذات، إذ ليس الآخر هنا فقط "غير مألوف"، وإنما ثمة سمات جوهرية مائزة، يختلف بها الآخر عن الذات، يعمل وجوده معها على تهديد الوحدة والصفاء[١٨]، وقد وسم سارتر هذه العلاقة بالسلبية، إذ عد معرفة الآخر قائمة على السلب والتوتر، وجعل من الآخر يمثل الجحيم، لاستناده إلى معطيات موضوعية خارجية، بني على أساسها معرفة الآخر، وليس على أُسس ذاتية، مما عمق الهوة بين الأنا والآخر[١٩].

٢ . الآخر الحميم: يتمثل بشعور الألفة والحميمة بين الأنا والآخر، لقرب العلاقة بينهما، سواء أكان هذا الآخر يمثل فرداً، أم مقابلاً جنسياً، أو تتسع دائرة هذه العلاقة لتشمل تشكلاً اجتماعياً ، ويتبنى أطراف هذه العلاقة استراتيجية التوافق بمساعدة فضاءات التواصل في النص الروائي[٢٠].

٣ ـ الآخر المحايد: يكون الآخر هنا متخذاً موقفاً محايداً، دون أن يكون له موقف انفعالي، سواء أكان القبول أم الرفض والعدائية، ويتميز هذا الحياد بالمؤقت، تبعاً لنسبية الزمكانات وظروف اشتراطية ضمنها، متهيئاً لأن يكون أحد هذين الموقفين[٢١].

٤ ـ الآخر الهامشي: ويتمثل في الآخر البعيد عن دائرة الاهتمام، الذي عانى من الإقصاء والقمع من قبل مؤسسات المجتمع، أو السياسة، أو ضمن إطار العائلة،

فالتفاعلات الاجتماعية تقتضي الاندماج مع الآخر، بما تفرضه تغيرات الزمكانات، مؤثرة في خصائص الذوات، ناتجة عن إثر ذلك عمليات معقدة، تفرض على الآخر تغيرات زمانية ومكانية متخلخلة، فيتبنى هذا النوع من الآخر فضاءات(بينية) خاصة به[٢٢]، لا يتقبل الذوبان عن طريق التجربة في ظل الفضاءات الجديدة، ويغلب هذا النوع في فضاءات المنفى، سواء أكان منفى داخلياً، أم منفى حقيقياً[٢٣].

كيفية تمثيل الآخر من خلال الزمكان كان لخروج مفهومي الزمان والمكان عن إطار التحليل الشكلاني بتضمينهما السياقات التي ترد من خلالهما، ورصد البعد الثقافي لهما، موضوع للكشف عن الطريقة التي تمثل من خلالها الآخر[٢٤]، عبر الكشف عن القيم الاجتماعية والفكرية والسياسية للأفراد والمجتمعات تبعا لحركتي الزمان والمكان[٢٥]، لذلك فإن نماذج العالم الاجتماعية والسياسية والدينية والاخلاقية تتشكل عبر مراحل زمنية لتعطي معنى الحياة فتنطوي على سمات مكانية[٢٦]، فالمكان في نظر يوري لوتمان يؤثر في البشر بالقدر الذي هم يأثرون فيه، لذا يتخذ شكل التنظيم الاجتماعي نمطاً من سلوكيات خاصة تتغير

بتغير الامكنة، مضيفة للنص دلالات خاصة[٢٧]، تتسم بعض القيم بانها قيم مكانية، لتخطيها البعد الزمني (التاريخي) حيث تحظى بالثبات، وعد مواكبتها التغيرات، يأخذ المرء بموجبها موقفاً غير قابل للتغير ومواكبة تغير السياقات الاجتماعية والتاريخية[٢٨]، لذلك كان التكوين الثقافي نتيجة لتعاقب الأزمنة على المكان، خالقاً زمكانات تعد ضوابط . من خلال بعدها الواقعي . تحديد الآخر، حيث يرتبط وجود الآخر والذات من خلالها، ولا سيما أن بعض الأماكن حظيت ولفترات زمنية بانفتاح على الآخر كونها مناطق توافد واستقرار ثقافات متعددة[٢٩]، ولأن الذات ليست متوافقة مع ذاتها إلا في بعدها الزمني، فهي تتقاطع مع ذوات أخرى متعددة، ضمن سلسلة لانهائية من الثنائيات المتضادة في زمكانات متعددة[٣٠]، وقد ستثمر الزمن الثقافي في تزييف المسار التاريخي مما يعمد إلى تغيير نظرتنا إلى أنفسنا وإلى الآخر، بامتلاك السلطة القادرة على تغيير الهيمنة الثقافية وموقفنا من الآخر[٣١].

المستوى الأول: زمكان الوطن :

مثلت سميرة المانع الآخر في رواياتها بتدرجاته في المغايرة، انطلاقاً من وعي الذات بآخرها، ضمن زمكان الوطن الذي يشكل المرجع الثقافي الذي انطلقت منه الكاتبة سواء اختلفت معه أم اتفقت معه في بعض الأحيان، ففي زمكان(الجامعة) حيث يشكل فضاء التقاء الجنسين(المرأة) و(الرجل) في ظل مجتمع يتحفظ على نوع هذا الالتقاء، ويشترط على نوع العلاقة بينهما ضمن ضوابط اجتماعية ودينية. يلتقي(منى) و (سليم)، فهو((يعبر بناية كليتها، سائرين منفردين المرة تلو الأخرى، وبعد أن جسها بسكينة تسمى "عاطفة الحب" كانت تخلف في الكلية حين تعود للبيت المساء، تخلفها فيرونها زملاؤها وزميلاتها في عيون خضر زرق تأتي غربية عليهم كعيون البحارة الإنكليز في ميناء البصرة))[٣٢] تمخض عن هذا اللقاء غير المتماثل في عدم التطابق بين الطرفين، فسليم ذو الثقافة الغربية، ساخط على قيم مجتمعه، على العكس من منى التي تبدي تماهيا مع قيود مجتمعها، لترد عليه حين دعاها للذهاب معه((لم لا تذهبين معي للحفلة الموسيقية القادمة، دعينا نذهب.

ـ في أي عالم تعيش أنت؟ ألا تعرف ظروفنا، ألا تعرف العراق؟

ـ العراق، "آخ" من العراق!))[٣٣]. مؤسس أفكاره بناء على الثقافة الغربية، محاولاً أن يجعل من منى شخصية تتفق مع توجهاته((أعطاها كتبا مترجمة لتقرأها،(في انتظار جودو) و(هكذا تكلم زرادشت) ، (الجريمة والعقاب) وكتب(سارتر) والوجودية.[...] فقد كان يعرف حاجتها كطبقة جيولوجية من الارض تعود اليه، ويتوسم فيها خيرا، مواهبه عليها ومنافعه المتبادلة معها))[٣٤] فمثل هكذا علاقة ضمن الزمكان اللذين يعيشان فيه لا يمكن أن يتم هكذا توافق، إذ ليست المرجعيات الثقافية فقط هي ما يحدد نوع هذه العلاقة والمسافة التي يفترض بها بين الذات وآخرها، بل إن النظام الاجتماعي الذي يقيد(الرجل) و(المرأة)

في مجتمع شرقي ضمن إطار الزواج والعقود الرسمية فكما((تشاء منى يستجيب (سليم) كشابة وشاب قبل ان يتزوجا، والاثنان احرار وان ارتبطا بقيد يفوق خاتم الخطوبة وزنا وأحكاما، وحين رفضت امه كعجوز غاضبة ان تزوج(سليم) منها لم تكترث الاخيرة، فعلاقة كهذه العلاقات لا تفضها خواتم ولا تعقدها مجالس وحفلات زواج رسمي ترتدي العروس فيها بدلة فارتباطهما نوع من المصافحة الغامضة، أو القبل المحرمة اذ تلوكها الالسن فلا تمحى، وسافر بدليل انه ودعها [...] وانتظرته بعيون البدو الذين يترقبون رسولا))[٣٥] أما في رواية(شوفوني.. شوفوني) فقد مثلت المانع زمكان العراق في فترة شهدت اضطراباً في القيم الاجتماعية، تبعاً لاضطراب السياسة آنذاك، فكان لقاء(فاطمة) مع زوجها الأول((عندما رآها في إحدى المرات استحسنها. الحب وصفة بسيطة بالمقارنة وجدته مثيرا بعد أن شوقها بخبرته في الحياة، اطلاعه على دول العالم، مقاييسه المثالية، احترامه للمرأة ونضوجه السياسي في مجتمع العراق المضطرب اللا متسامح في الأربعين سنة الأخيرة [...] سارعت للزواج في زيارته الثانية وكانت في أول سنة لتخرجها من كلية البنات. الكلية التي من اسمها مقصورة على الفتيات فقط، لا مجال للاحتكاك بالأولاد))[٣٦] انطلاقا من كون (فاطمة) فتاة تعيش في مجتمع، يقتصر خبراتها واحتكاكها ببنات جنسها فقط، جاعلا من التغاير الجنسي بين المرأة والرجل محددا ضمن مؤسسة العائلة، مما جعل لقاءها بزوجها في أول مرة يوثق الألفة والحميمية بينهما، فقد تميز بخروجه عن نمط تفكير مجتمعه الذي يميز بين المرأة والرجل من خلال وظيفته التي أتاحت له توسيع خبراته واطلاعه على المجتمعات الأخرى.

في رواية(القامعون) نجد(سعدية)المرأة التي تعيش مع أخيها وزوجته وابنته، وقد تأخرت في سن الزواج الأمر الذي يجعلها تحت سلطة أخيها، فزمكان البيت يشكل فضاء يحد من حريتها، وما اختيارها العمل كمنظفة في مبنى الداخلي للبنات إلاّ بمثابة عن الحرية البسيطة التي يمنحها زمكان العمل، حيث وجدت مع الحارس(جاسم) المغاير الحميم بعد أن قدِم إلى مبنى داخلي البنات كحارس جديد، بعد وفاة (الحاج علي)، وقد ((عطفت على جاسم في أول يوم لحضوره. ظلت تسمع شكواه حين يأتيها متضايقاً . متذمراً من كونه المظلوم الوحيد في الداخلي كله. كثيراً ما يندد بست ماري المرتاحة، في رأيه، بينما لا يتعب في الداخلي غيرهما))[٣٧] وهذا التقارب من ظروفهما التي دعتهما للعمل بهذه الوظيفة المتواضعة قربت من المسافة بينهما، حيث((رأت فيه ملمح صدق وصراحة. سارعت كي تعد له شاياً آملة أن تزيد اطمئنانه وانشراحه،أثناء ما كان يصفي أموره في الغرفة المهملة، يعد نفسه للاستسلام الحقيقي للوظيفة))[٣٨] وبمرور الأيام صارت((سعدية تناديه، مصغرة وممطططة اسمه، تدخل عليه غرفته دون استئذان، تضع يدها على كتفه وهي تضحك. كان يعابثها من الخلف، يرمي عليها قشوراً مثيرة في الرغبة، وسعدية، البريئة، وهي آخر من يفهم، صارت تفهم))[٣٩] فهنا تظافر الزمان والمكان خلق الزمكان المناسب لهذا التوافق بين الحارس جاسم المغاير الجنسي لسعدية، فهو يرى فيها إشباعاً لرغباته، في حين أنها وجدت فيه الرجل

الوحيد في هذا المكان_ داخلي البنات_ وإن كان ذا موصفات متواضعة كرجل بالنسبة إلى سعدية، فبعد انتهاء العطلة الصيفية وقدومها قبل أيام من بداية العام الدراسي الجديد((حين انتهت من ركوب الحافلتين، اللتان تقلانها إلى قصدها، واصلت السير على الأقدام. كانت أشجار الصفصاف الهرمة الغامقة الخضرة المرصوفة على جانبي الشارع توحي بالسلام. تتهيأ لاحتمال ابتعاد موسم جهنم صيف العراق. وكأن هناك أملاً حقيقياً بوعود حياة تستحق العيش. طقطق نعال سعدية تحت الظلال، تتراقص أطراف عباءتها الدمشقية فتية. من المعتاد، في مثل هذه الاحوال أن تتوقع رؤية جاسم كما تركته قبل ثلاثة شهور. تأخذ المفاتيح منه بحركة لا أبالية، تعامله كقطعة أثاث في الداخل تركتها قبل مدة وتراها اليوم كما هي))[٤٠] إن مجتمعاً كالعراق جزء من المجتمع الشرقي الذي يتحفظ على العلاقة بين المرأة والرجل، سيما التي تقع خارج المنظومة الأسرية، بما فرضته الممارسات الاجتماعية من الخوف عن ما يترتب على هذه العلاقة، فهي فضاء تقاطع القيم بين الذات وآخرها المغاير عنها، فحين((انتهت من تنظيف كل شيء عداها الوقت متأخر، الساعة الرابعة مساء[...] وقفت في مكانها في الحمام. تغسل وجهها، رقبتها، ثم تمضمضت. أدلت شعرها تحت دش الماء، تعركه، حين سمعت اقدام جاسم مقبلة. عرفته هبوعاً كعادته في السير، يؤمها. أسرعت راكضة لأقرب غرفة[...] فتشت عن الفوطة السوداء وبقية ملابسها المرمية لكن الباب بدأ يُفتح بتوءده [كذا] [٤١]. ارتعدت أوصالها وتكسر صمت في الداخلي كله. لم يسألها إن كانت قد انتهت من التنظيف ولم يتنحنح، كعادته، كي يفسح الطريق له، أحست فقط، بالباب يطبق في همس وقدح بوظة يوضع على جنب وذراعها الأيمن يرفع في رفق، ليسقط على السرير جسدها مرة واحدة. كان ممكناً أن تنادي سعدية أخاها عبود أو الشرطي "حسن" أو الناس اجمعين ليهبوا مرة واحدة لنجدتها، لكنها اخفقت في أن تطلب أية مساعدة كانت ناضجة كتمرة تريد القطاف))[٤٢] فالمجتمع الذي تعيش فيه سعدية يحرص على قيمة الشرف، سيما وأنها ضمن زمكان العمل التي تفرض على جاسم الالتزام بضوابط معينة في علاقته معها، إلا أن سعدية فضلت أن تتماهى مع ما اختاره جاسم خارجة عن أعراف مجتمعها متناسية خوفها من أخيها(عبود) ظنّاً منها أنها وجدت مع جاسم التوافق الذي يفضي إلى الزواج، انطلاقا من نظرتها إلى المغاير عنها الحميم، غير عارفة بما يضمر الآخر في نظرته لها، لا سيما أنه له مرجعيته الثقافية كرجل هارب من العار في مجتمع ريفي سبق وإن كان خاضعاً للقمع من قبل سلطة أعلى، تمثلت في النظام العشائري والإقطاعي سابقاً، مترتباً على أثر ذلك النظرة التي رأى بها سعدية، التي تعد آخراً بالنسبة اليه كرجل يحكم على المرأة انطلاقاً من الصورة التي رسمها بتجاربه عن المرأة بوصفها مجالاً لإشباع لرغباته.

المستوى الثاني:زمكان المنفى:

عالجت سميرة المانع الآخر ضمن زمكانات المنفى خارج حدود الوطن انطلاقاً من رؤية الذات إلى الآخر وتمثله في النص الروائي في زمكانات متعددة ففي رواية(السابقون واللاحقون) تمثل سميرة المانع لقاء (منى) مع المغاير الجنسي لها(جلال) الشاب العراقي في لندن حين جاء ليستلم جثمان والده، فحين ((اقتربا من المستشفى، فلم يكتف جلال محمد القاسم بالسائق لكي ينزل فيجلب شهادة وفاة أبيه ويظل جالساً في السيارة، بل لحقه داخلاً المستشفى، عادا والورقة البنفسجية بين يديه، يقرئها بتمعن، سائراً جنب السائق))[٤٣] فزمكان لقاء منى مع آخرها الحميم جاء انطلاقاً من رؤيتها له بكونه يتوافق مع ذاتها، لارتباطها بالجذور الثقافية نفسها كونها مغتربة في لندن وجلال يمثل أحد أبناء مجتمعها، وسكنها وعملها في لندن بـ (السفارة). واختلاطها مع المجتمع الإنكليزي لم يقتصر على تعلمها اللغة فقط وإنما هذا التمازج الثقافي مع الغرب الذي لم يمح هويتها كعراقية، ليزداد توافقها مع جلال حين وجدته متحكماً في انفعالاته، فوجوده في المستشفى لأجل استلام شهادة وفاة والده، موهماً السائق الأجنبي بمعرفته لما كُتب بها، بينما كانت منى((تشك وهي جالسة في السيارة تنتظرهما، كانت تشك إن كان جلال يعرف أكثر من كلمة مما كتب باللغة الإنكليزية.

_متى تعلمت اللغة؟

سألها والسيارة تسير، وبعد أن انتهى من مطالعة شهادة وفاة أبيه بعينيه المتجلدتين

_منذ أكثر من سنتين [...] حساساً بأكثر من حواسه الخمس، دخل غرفة موظف تسجيل الوفيات ذكيا، وكأنه يعرف اللغات جميعا، فلم يتجاهله الموظف الإنكليزي وتعجب في وجهيهما معا:

_إنها زيارة سريعة.

يؤسفنا ذلك))[٤٤]. إذ يعتد جلال بذاته، مما يمنحه مشروعية تمثيل ذاته وعد فرض آخره الأجنبي_ أن يصادر تمثيل ذاته، فهو كما وصفته منى((سليم المشاعر في الصمت يذكر الموظف الإنكليزي أنه موجود عنده، وحينما خرجا من الغرفة أحست أن المتوفى محمد القاسم لم يمت، بل حماها وهما يتوجهان للمصعد إلى السيارة الواقفة، وكأن فقدانه قد ضاعف من عزم ابنه على تحمل مسؤولياته تجاه أمه وإخوته والموظفة الغريبة في البلد الأجنبي))[٤٥]

أما في رواية(السابقون واللاحقون) فنجد لقاء فاطمة التي تقيم في لندن مع الرجل المغربي في إسبانيا، بعد أن وجدها في الليل واقفة منتظرة الباص، قائلا:(("أنت عربية" ردت بعد أن سمعت لغتها بكل جوارحها: "نعم، أنا كذلك"))[٤٦].

فوجودها في مكان غريب عنها جعل معرفتها البسيطة بهذا البلد في ذلك الوقت المتأخر من الليل لا تسعفها في أن ترفض المساعدة من الرجل الغريب عنها عندما عرض عليها المساعدة(("بإمكانك المجيء

معي للسكن في بنسيون بمنتصف الطريق، بمنطقة سان بيدرو" فوجئت وقد وافقت على هذا الاقتراح، بسبب الاضطرار، بسرعة، وإلا كيف تأمن شخصاً مغربياً لقيته عرضاً في الشارع، تذكرت قول أمها أحيانا: وما أكثر ما استهزأت به "ليتني مع القوم ولو ابن العم"))[٤٧] فالرجل المغربي وإن كان غريباً لا توجد أية معرفة مسبقة به، إلا أن الزمكان قد جعلا منه آخراً حميماً لفاطمة ابتدأً مما هو متوارث من مثل يعكس مرجعها الثقافي الذي يجعلها تأمن الرجل الغريب لمجرد أنه من جنس قومها، فالرجل المغربي ينتمي لثقافة شرقية، متخذاً مبدأ الإخوة الذي يجعله متكفلا بمساعدة المرأة الغريبة عنه تحت نظام الإخوة الرمزي الذي يربطه بها.

وفي رواية(الثنائية اللندنية)تمثل الآخر الأجنبي بـ(مسز روجرز)العجوز الإنكليزية التي اعتادت((أن تدس الرسائل تحت أبواب غرف المؤجرين عندها لكنها هذه المرة. وخلاف نظامها اليومي، سلمت الرسالة باليد إلى منى شاكية:

_أنا لا أفهم هؤلاء العرب، لماذا يقتلون بعضهم بعضا.

_ماذا حصل؟

تساءلت منى وهي تمسك الرسالة مع مزيد من الاستغراب والاستنكار:

_اقرأي في الجرائد، اسمعي المذياع، قتل ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لندن، لا أذكر اسمه، كأنه يشبه(سيد همامي) أو شيء مثل هذا))[٤٨] فموقع مسز روجرز الثقافي بوصفها مالكة للبناية التي تعيش فيها أن يجعل الزمكان يمثل نوع هذه العلاقة مع المؤجرين لا سيما العرب المختلفون عنها، متعاملة مع المستأجرين عندها، بوصفهم آخراً حيادياً، فلا تتقرب منهم مسافة يترتب عليها معرفة تعمق علاقتها بهم، أو النفور منهم لدرجة تجعلهم يغادرون البناية التي يسكنون بها وتكلفها خسارة لزبائنها، مكتفية بالقدر البسيط. إن منى شعرت في هذه المرة بكسر مسز روجرز نمط سلوكها المعتاد، لتفاجئ بتقديمها النصح لمنى، كونها تنتمي إلى المجتمع العربي بعد حادثة اغتيال(سيد همامي)، قائلا:

((أوه، متى تتعلمون، أنتم لا تحتاجون إلى قتل بعضكم بعضا، أنتم في حاجة للوحدة، للوحدة))[٤٩]

فامرأة كمسز روجرز بريطانية تحظى بهدوء وفراغ يجعلها تستمع وتتبع أخبار العرب المتأزمة في تلك الفترة، لا سيما أحد المؤجرين عندها امرأة عربية((كانت الإذاعات في تلك اللحظة تغلي بالأنباء استوديوهاتها المبطنة صحيفة الـ(صن) عندما طبعته خاليا من تأنيب الضمير،(كولدا مائير تذهب إلى مصر، أنها تقدم عشرين أسيرا حربيا من أجل أسير واحد) كانت كريمة ولأول مرة تقتحم عزلة مسز روجرز عنوة، تضع الحياء الإنكليزي المعروف جانبا وتبدي التعاطف بصراحة تدخلت وكأن أحدا سألها رأيها، أو الأمر يعنيها:

_ربما تكونين واحدة من هؤلاء الأسرى العرب العشرين، تستحقين أن تعاملك بأحسن من هذه المعاملة، أنت تساوين أي واحد معقول في هذا العالم))[٥٠] فهذا التغير في مسز روجرز بوصفها ذاتاً منعزلة، كسرت نمط تعامل الإنكليز الذي يجعلهم منغلقين على ذاته، من خلال شعورها بالوحدة لتجد الحل في اطلاعها على أخبار العرب السياسية المتأزمة في تلك الفترة، وإيجاد الحلول لتعرضها على منى انطلاقا من واقعية الإنكليز، فتطور علاقة الود والحميمة بينها وبين آخرها العربي متشاركة معها بسمة الإنسانية.

ومثل مسز روجرز، مدير مدرسة(جعفر) ابن فاطمة في رواية(شوفوني شوفوني) حين((استقبله مدير مدرسته القديمة البريطاني بكل الطمأنة التي يمارسها المربون المخلصون. ابتدأ دوامه بعد وصوله لندن مباشرة دون أوراق أو تواقيع، بعد أن أبدى المدير سروراً لعودته بعد غيبة صارت طويلة لمدة ستة شهور، افتقدوه فيها ذاكراً ذلك من أجل التشجيع. تركته في المدرسة مرتاحة إلى حد كبير، تاركة وصايا الأم الخائفة لمن في حاجة للتذكير))[٥١]. ولأن زمكان المدرسة يفرض نوعاً من السلوك التأديبي، المتبادل بين الطلاب والمدرسين، ضمن الشروط التربوية، التي تعلي من القيم الإنسانية ورفض الفوارق بين أجناس البشر، فقد ترتب على أثر ذلك هذا الموفق الحميمي بين المدير البريطاني وجعفر، بعد أن رجع إليهم بسبب قرار عودته مع والدته من العراق وقرار بقائهم في لندن.

أما في رواية (الثنائية اللندنية) فمثلت المانع الآخر الأجنبي الحميم الذي يقبل على الإعجاب بالثقافة العربية متمثلا بـ ((بولين فتاة السبعينيات في القرن العشرين، مجتمع السبعينيات الذي صار يسمى في لندن بـ (المجتمع المتسامح) مجتمع عام المرأة الدولي، وقرارات إنصافها في هيئة الأمم المتحدة في حقوق الإنسان، مجتمع العيش باحترام وعلى قدر المساواة بين الذكر والأنثى دون زواج أو عقود رسمية، مجتمع مجيء أطفال الحب باعتراف الضمير الحي لا غير، ضمير الأب والأم الحقيقيين، آلام غير المتزوجة حين صارت الحكومة البريطانية، قانونيا تدفع لها مبلغا شهريا من المال، إذا ما أخذت على عاتقها مهمة تربية أطفالها وإعالتهم بمفردها))[٥٢]. انطلاقا من المرجع الثقافي لـ (بولين) الفتاة الإنكليزية في مجتمع متحرر يتيح لها حرية اختيار الرجل والدخول معه في علاقة خارج مؤسسة الزواج، كما أن مجتمعها لا يلزمها بالبقاء مع زوجها والأطفال إن لم تجد التوافق بينها وبين الرجل، فساعد كل من تضافر الزمن الذي منح المرأة الإنكليزية حرية أكثر والمكان في بلدها(بريطانيا) الكثير ممن هم مثل زوجها أن تتعلق بحب الرجل الشرقي حيث((وجدت بولين في العربي صديقا دافئا قادرا على الحب والكرم، على الحب الرومانتيكي المتشدد في الغيبوبة الحسية، وعلى الكرم المادي الذي يجعلها تأمل في الكرم الروحي بعده. ومن ينازع العربي في هذا الأمر غيره، ومن أقدر على الغرام العنيف بين أقوام العالم، تاريخه مملوء بشهداء الغرام، لا بأس من إضافة ضحية أخرى إليه))[٥٣] فبولين بوصفها إنكليزية تعيش ضمن مجتمع

يتسم رجاله بالواقعية والاقتصاد المادي، تبحث عن الحب الذي تجد التوافق الذاتي معه في الرجل الشرقي، الذي يتسم بالرومانسية والكرم المادي.

وفي زمكان مدينة(ملقا)الأسبانية يمنح المكان(العمارة) التي تضم شقة(فاطمة) وشقة(ليز وتوم)، الأجنبيين اللذين يعيشان في هذه البناية هربا من واقعية المجتمع البريطاني المنغلق، فتوم(الرجل الأسود) الذي كان ملاكما مشهورا قديما((طلق المهنة بعد أن شاخ وخط الوهن عضلاته. له صولات وجولات في شبابه، أوشك أن يفقد حاسة السمع كلية لكثرة اللكمات التي سددت لصدغيه ورأسه))[٥٤] ولأنه ينظر إلى توم على أنه مواطن من الدرجة الثانية بحكم لونه مما يجعله آخر عرقي بالنسبة إلى(ليز) التي تشكو من((علتها الموجعة الظهر، المتكئة على عصا))[٥٥].هذا التغاير الذي يمنح كل من توم وليز المختلفين في السمات الظاهرية توافقا حميما بحكم خروجهما عن نمط مجتمعهما مقررين الانعزال عنه في فضاء يمنحهما الحرية بعيدا عن الضوضاء في هذه البناية((مختارين هذه البقعة من الارض بإسبانيا عن رضى وقناعة لقلة صخبها الذي لا يقارن مع ضوضاء شهرة حلبات الملاكمة أو الاتصال بالمجتمع العنيف))[٥٦] مما عكس هذا التوافق الإنساني، في علاقتهم مع فاطمة التي تملك شقة في هذه البناية وتزورها بين حين وآخر، وحين ((نظروا للثلاجة القديمة الواقفة في الممر استغربوا من وجودها متروكة، قبل ان يتذكر توم احدى الساكنات الجدد في البناية:

_لقد أخرجتها من الشقة لقدمها. اشترت ثلاجة جديدة. استنبط توم الفكرة بعد أن ربط الأحداث بذكائه. أرادوا فتحها حين اقتربوا منها [...] سأسأل صاحبتها عنها وأخبرك، ينقلها لك توم قرب بابك))[٥٧] فكسر توم وليز قاعدة سلوك الإنكليز بعدم التدخل والتورط في علاقة مع الآخر؛ منطلقين من مبدأهم الإنساني، بمساعدة فاطمة كونها تسكن مجددا في شقتها.

وفي رواية (السابقون واللاحقون)نجد علاقة(منى) مع آخرها الحميم(سليم) على الرغم من الحب الذي بينهما، والذي دفع منى للسفر إلى بريطانيا لأجل اللحاق بسليم الذي يدرس هناك، إلا أن ثمة فجوة بينهما تحد من التوافق بينما. فجوة لم يكن السبب ورائها البعد المكاني بينهما وإنما تربية منى في مجتمع شرقي، لا يتفق مع ميول سليم، الذي يقول:((أستذهبين اليوم مبكراً، كالعادة؟

_أفضل ذلك.

_أسيخطفونك في القطار، ممن تخافين؟

_لا أخاف أحدا.

أصرت على هذه الكلمات ثم إعادتها:

_انظري الإنكليزيات يسرن بمفردهن في الواحدة بعد منتصف الليل، كوني شجاعة.

_قلت لك لا أخاف أحدا

علا صوتها بشكل لا طبيعي ، فابتسم لئلا يفقد أعصابه:

المهم سوف تأتين في السبت القادم))[٥٨] لا يزال تأثير الثقافة الشرقية في سلوك منى، من خلال الحذر الذي تبديه المرأة العربية مانحة الزمان قيمة لم تتخل عنها في ظل غيابها في بريطانيا، إذ إن المرأة العربية لا تفضل الخروج المتأخر في الليل، إما حذراً مما قد تواجهه خلال وصولها إلى محل سكنها في ظل مجتمع لم تتماه مع قيمه، وإما خوفاً من أن يخالط الشك ذهن سليم، بأنها قد تخلت مطلقا عن قيم مجتمعها، التي ترفض بقاءها معه في وقت متأخر من الليل، فيحكم عليها، قائلاً :((جبانة، ومترددة وصفتان تلازمان المرأة الشرقية))[٥٩].

وعلى الرغم من حب سليم لمنى ورغم تواجد النساء الغربيات إلا أنه وجدها مميزة لذاته عن النساء الغربيات، وهذا لا يجعل سليم يتغاضى عن إمكانية فرض ميوله الشخصية وإصدار الأحكام على منى وتنميطها، قائلاً:((تذكريني بالهنود بملابسهم الطويلة، أو أنها اللمعة، أثوبك من النوع الرخيص؟ بالمناسبة، لقد تذكرت شيئا، أرأيت معرض(غوغان) أنه في "التيت غاليري" رسوماته في الفترة التي قضاها في جزائري الهواي .

_لا.

سنذهب سوية، أتسمحين شيئا؟

_لا، لا أريد سماع أي شيء.

_لماذا؟ هل أنت غاضبة؟ [...] ماذا دهاك؟ هوني عليك، ثوبك جميل من النوع اللازوردي يتراءى للمرء وكأنه يسبح شفافا الهواء، وأنت، أنت يا ملكة الأناقة تغرقين قلبي.. هذه. أيعجبك هذا؟))[٦٠]. فهذا التخلخل بين العلاقة بينهما المشروطة بالحب غير المقيد، والميول الشخصية التي هي محل نقاش بينهما، فإن سليم رغم تنميطه لمنى وإصدار الأحكام عليها إلا أن فاعلية منى التي ترفض أن يتم تمثيلها عبر الرفض الصريح أو التزامها الصمت الذي يستفز شخصية سليم التي تفضل الجرأة في إبداء الرأي، مما يترتب على ذلك تراجع لموقفه.

المستوى الثالث:زمكانات بينية:

عالجت سميرة المانع موضوع الآخر ضمن زمكانات متعددة اتسمت بالنسبية، التي تتيح تغير هذا الآخر تبعا لتغير قيم الزمكان النسبيين، فقد جاءت، هنا في فضاءات بينية، بما فرضه موقع الذات من آخرها، التي لم تكن ضمن زمكان موطنها ومنشئها الأصلي، ولم تكن أيضا ضمن الزمكان الجديد، بل تكون في منطقة تجمع خصائص الاثنين، ففي رواية(حبل السرة) نجد(زوج أخت عفاف) الذي لا يذكر في الرواية له اسم إشارة إلى هامشيته ضمن الفضاء النصي أيضا، فيتم تمثيله من خلال صوت

السارد((افترقت عن زوجها الذي أبعد إلى إيران مع الآلاف المؤلفة من المبعدين والتاركين وراءهم علاقات اجتماعية مشروخة، بعد قرون من الاختلاط والترعرع، التزاوج وتقاسم الزاد والمحن. سافر الزوج مرغما، تاركا إياها، حاملا بشهورها الأخيرة عند أهلها بالعاصمة بغداد، وهناك ظل حنينه إليها متواصلا وحاول الاتصال بسفارة وطنها الذي كان وطنه قبل سنة فقط، بل هو لا يعرف سواه سواء أكان من ناحية اللغة أو التعامل ومصمما على إقناع سفارتها، التي كانت سفارته، قبل سنة وكي تلين لطلبه وتسمح له بالعودة للعراق أو يسمحوا لها بالخروج منه مع ابنه))[٦١]فهو يجد في زمكان بلده (العراق) الانتماء الذاتي معه، لأنه محل تنشئته ومرجعه الثقافي،إلا أن تلك الفترة شهدت اضطرابات سياسية دفعت السلطة إلى أن تهجر العديد ممن ترجع أصولهم إلى إيران، منطلقين من مبدأ سياسي يتعارض مع الشعب بكونهم ذوات ينتمون إلى هذا البلد، من الصعب أن تستلب الذات من منشئها إلى زمكان آخر، فهذا الانفصال الحقيقي مع آخره الحميم، يجعله يتخذ من السفارة العراقية محل تواصل له، حيث((بقيت السفارتان في كلتيهما موجودتين، كمظهر يثير الدهشة والريبة. تناولته سلطات الأمن في إيران وابتدأ التحقيق والاستجواب معه. ما معنى وقوفك ساعات أمام هذه السفارة؟!أسباب اتصالاتك بها؟ بقاؤك في داخلها؟ هل أنت عميل للسفارة العراقية؟ وأشياء من هذا القبيل لم يفلح في إقناعهم ببراءته. ذُلّ واهيين، قاسى وعانى ضروب التحقير والاتهام من اجل الاعتراف بجريرته وفضح جرمه))[٦٢]. فهذا الانفصال الجبري عن بلده الاصلي يجعل منه رافضا التوافق أو امكانية التماهي مع الزمكانات الجديدة مما يجعل ينمط على أنه آخر هامشي بالنسبة إلى كلا البلدين.

وفي رواية(السابقون واللاحقون)كان لقاء منى . في مكتب تسجيل الوفيات . مع ابن(هنية جمعة) المتوفاة في لندن حتى أنه لم يذكر اسما له ويستدل على ذاته من خلال اقتران دلالته باسم والدته المتوفاة، لتبدأ منى السؤال عنه:((أعلى ما يرام، الآن؟ مربتة على ذراعه بأخوة، فأدرك المقصود، وجاملها بابتسامة أشعرت العربية المترجمة ببدائيات الغبن، إذ إن صاحبها هذا يفهم الإشارة من تلك المرأة وبينما هي، الأخت الحقيقية، كما تصورها الآخرون، لا يدرك كنهها وول يتقبل منها ذلك الحنو وتلك الربتة ، دون ان يظن بها الظنون فتوضع في اخر ما تغب به من تسمية غير شريفة، على اية حال لم يطل تفكيرها بتلك التوافه كثيرا))[٦٣]. ولأن زمكان لقاء منى بالشاب العراقي في مستشفى لندن حيث يواجه الاغترابين المكاني والنفسي، مما جعله هامشياً في نظر منى بعدم تماهيه مع سياق الموقف، الذي يفترض به . من وجهة نظر منى . أن يكون واقعياً، سيما انه في بلد غريب، مختلف عن مرجعه الثقافي الذي يتقبل منه هذا الانفعال العاطفي(الحزن على والدته). انطلاقا من موقع منى الثقافي وتأثرها بالمجتمع الانكليزي(الواقعي) ، محاولة التخفيف عن حزن الشاب العراقي، عبر التربيت على ذراعه، لتقريب المسافة بينها وبين آخرها المغاير في الجنس، فيتماشى مع سياق الموقف، ومن ثَمّ لا يتم تجاهله من قبل موظفي تسجيل الوفيات، وتنميطه على

انه هامشي، إلا أنها على علم بمرجع الشاب الثقافي الذي يرى فيها آخر مغايراً بالجنس، وهذا يتطلب مسافة بينها وبين الآخر لا تسمح بهذا التعاطف منها.

إن هذه التصورات المسبقة من قبل منى عن آخرها الشاب العراقي شكلت صورة هذا الآخر القابلة للتغير بحسب سياق الموقف ودرجة والمعيار الأخلاقي((إذ سرعان ما حضرت حقيبة المتوفاة مع سلة خوص، صناعة بلدان البحر الأبيض المتوسط، فتأبط الابن السلة وحمل الحقيبة، رافضا أن يكلف أحدا حملهما، وبدآ يتقدمان في الممرات، عائدين من حيث أتيا، فيدعها تمشي أمامه، ويقف في باب المصعد لتخطو قبل أن يخطو إليها هو فاطمأن بالها من أن أخاها هذا، ذا الأم المتوفاة لا يراها كائن إنساني من الدرجة الثانية، وبات يحترمها لسبب تجهله، وان بقي، في اعتقادها، سببا لا شك وجيها))[٦٤]إن تصنيف منى للشاب العراقي على آنه آخر هامشي من حيث تصرفه ضمن الزمكان اللذين يعدان مغايراً عنه وعن مرجعه الثقافي اللذين لا يسمحان له في ظل فترة وفاة والدته الاندماج مع الثقافة الغربية أو التكيف المؤقت معها، كما أن التزامه الصمت الذي يجعله متخذا موقف الانسحاب، فيتم تنميطه من قبل الآخر، مما جعل منى تظن أنه يصنفها على أنها امرأة عربية متخطية قيم مجتمعها الأصلي، مختارة الاغتراب لأجل التحرر من قواعد مجتمعها، إلا أن موقفها المحايد معه يجعل كل التصورات المسبقة وتنميطها له مؤقتاً إلى أن يتم هناك موقف من قبله يحسم الأمر، حيث إن وجوده ضمن هذا الزمكان قد جعله لا يظن بها هذه الظنون.

كما مثلت سميرة المانع الرجل الفلسطيني العجوز في لندن الذي أجبر على ترك بلده الأصلي (فلسطين) ، ((وقد جاء هذا الشيخ منذ حولين إلى بلد الحرمان سعياً وراء العمل من الضفة الغربية التي تحتلها إسرائيل، ولم يكن راغباً بما قد شد الرحال إليه لو لا ضرورة الأمر واستفحال الخطوب، فلم يستطع ملاءمة الأرض التي جاءها، وهكذا مرض كما يمرض النبات الذي جيء به من بلاد بعيدة))[٦٥] فمن خلال ذكر سمة الرجل الظاهرية للدلالة على ذاته(الشيخ) حيث تحظى هذه التسمية بدلالة دينية إسلامية، تشير إلى الرجل العجوز المسلم المتمسك بالقيم المكانية التي لا تتغير بمرور الزمان، فارتباطه بمكانه الأصلي فلسطين يشكل ثغرة لا يمكن عبورها للتأقلم مع المكان الجديد،((ولحسن الحظ أن أسلوب العمل في هذا المستشفى يختلف تماما عن المستشفيات الأخرى، لكونه يسير بطريقة إنسانية، أي أنه يأخذ الإنسان كشيء مهم بالنسبة لنشوء المرض، لا العكس. وهذه فكرة قديمة، بالطبع، أخذ بها بالدرجة الأولى اليونان والعرب القدماء))[٦٦]مما يجعل هذا المرض الروحي يعكس على المرض العضوي فيؤدي إلى صعوبة التخلص منه بالعلاج المحسوس.

تعد الاضطرابات السياسية والحروب عاملا في تهجير العديد من الأفراد في بلدان المنفى، فلم تقتصر سميرة المانع على العرب فقط، حيث كان(لقاء) عفاف مع الآخر الأجنبي، قائلا لها: ((أنا إيطالي، هاجرنا

منذ الحرب العالمية. خسرنا الحرب، كما تعلمين. توزعنا في أنحاء المعمورة، أتعلمين أن القرن العشرين هو قرن التهجير؟ منذ الحرب العالمية الأولى والثانية والتهجير جماعي.

_ربما إلى وجود المواصلات السريعة بالإضافة إلى الأسباب الأخرى.

_اعتقد ذلك، هل أنت متزوجة؟

_أرملة.

_أليكِ أولاد؟

_ولدان.

لا أطفال عندي. توفي أول طفل لنا أثناء الولادة، لم تستطع زوجتي الحمل بعد ذلك نحن الآن في منتصف العمر. بقيت زوجتي على الأقل معي.

_هل تعمل؟

_تعمل في مصنع البيتزا القريب. لم تبدلْ عملها منذ عشرين سنة أصحاب هذا المعمل إيطاليون))[٦٧]

فالرجل الإيطالي الذي يعيش في لندن وأثناء لقائه مع منى يمنح زمكان(النهر) فضاء يجعل الآخر المنغلق على ذاته بعدم اندماجه مع المجتمع الإنكليزي، ليختار الاقتصار في علاقته مع آخر الحميم (زوجته) في بلد المنفى، فتمنح المانع دلالة موت طفله الأول أثناء الولادة، إشارة إلى انقطاعه عن التواصل أو التأقلم مع المجتمع الجديد، فلو كان هناك طفل لكان من السهل اندماجه مع المجتمع. كما أن اختيار زوجته العمل مع بني جنسها، يجعل منهم آخر هامشي بالنسبة إلى الثقافة الإنكليزية لعيشهم ضمن فضاءات خاصة ببني مجتمعهم فقط.

ونجد في رواية السابقين واللاحقين(مارغريت) تصنف مجتمعها على أنه آخر، فتعيش الاغتراب عن بلدها عبر زمكان عملها في السفارة، ففي أثناء حديثها مع منى، قائلة:((غداً أرى(توم)

_ (توم) ؟

_الذي تعرفت عليه قبل أسبوع، ألا تعرفين، سيأخذني معه إلى أحد المطاعم الفخمة [...] أنه رخيص، ولذا سأذهب معه.

_رخيص وسيأخذك للمطعم الفخم؟

_أوه، لماذا لا تفهمين، أقصد أن الخروج معه لا يكلفني شيئا فهو الذي يدفع قائمة حساب الطعام.

_والآخرون؟

_الآخرون، هذه، الإنكليز الملاعين، أنهم شحيحون، ندفع بالمناصفة، أقول لك شيئاً، أنا لن أتزوج إنكليزيا، مستحيل.

_لماذا؟

_لا أحبهم كثيرا، أنهم يابسون ابتداء من ربطة العنق المشدودة، لا يملكون سحر الفرنسيين أو الطليان، أرأيت كيف يقبل الفرنسي يد المرأة؟ بحق السماء، لو فعل الإنكليزي مرة هذا لأثار الضحك))[٦٨] ففي زمكان عملها في السفارة مع منى المختلفة عنها في المرجع الثقافي يتيح خروجاً على نمط السلوك الإنكليزي المنغلق، بالإضافة إلى كونها تختلف في تصوراتها عن مجتمعها الواقعي واصفة إياه بالمادي ((لن أبقى في بريطانيا مهما كلفني الأمر، أنا ضجرة من الجو، والإنكليز وكل شيء.

نظرتا إلى الشباك الماطر تحت سماء رمادية:

_في كل يوم مطر وغيم، غيم ومطر، كل يوم، أترين أني لا أضيع وقتي، سبق أن أضعته يوما.

_متى؟

_منذ زمان طويل، كنت قبل أن اختبر الحياة الحقيقية والواقع، أجل كنت ساذجة أضعت وقتي في شيء يسمونه "الحب"))[٦٩]انطلاقا من كونها تعيش في مجتمع لا يفرض على المرأة تقيدا بمكان محدد ضمن الإطار العائلي، متيحا لها حرية التعدد بالعلاقات المؤقتة ما لم تجد التوافق الذاتي معها، فقد كان علاقاتها مشكلة صورة نمط الرجل الإنكليزي على أنه آخر بالنسبة إلى مارغريت.

أما في رواية(من لا يعرف ماذا يريد) يشكل الاغتراب النفسي في مجتمع يتسم بمنظومة اجتماعية تفرض نمطا من السلوكيات على أفرادها لا سيما في علاقة الأبناء مع الوالدين، من خلال الطاعة لأوامرهم فهي تحظى بحصانة اجتماعية كسبت مشروعيتها من الجانب الديني، الذي يحرم عقوق الوالدين، مما جعل هناك فجوة بين أخ عماد ووالديه، قائلاً:((تفضل هل هذا منطق أب صالح للمناقشة؟! هذا مثل بسيط لما يدور عندما من مسرحيات في البيت، ومتى وحتى طلبك مني كي أشاركهم في كل قضاياهم صار لا ينفع. كيف أشاركهم وهم بهذه العقلية السقيمة المتخلفة، وماذا نستفيد منهم؟ لهم أحكامهم الصادرة من إطار تفكيرهم الضيق الخاص المتقوقع في سواد وعتمة القرون المظلمة))[٧٠] هذا البعد في التوافق بينه وبين والديه عمق شعور الاغتراب النفسي ضمن زمكان البيت الذي يكون غالبا متسما بالحميمة بين أفراده، إلا أنه هنا كان فضاء متخلخل القيم بين طاعة لوالديه والتماهي معهم بما يفرضه زمكان اللقاء معهم في البيت، أو الخروج عن دائرة تأثيرهم عليه. ليجعله متخذا فضاء خاصا به، عن طريق أمله في أن يجد حلاً، عبر الحيادية التي لا تفرض على الآخر تنميطا يجعله مغيبا لذواتهم، قائلا((نحن بحاجة إلى عقلية نيرة وذهنية متطورة ومتفتحة على العصر الحديث. يا أخي تعبنا.

هذا عن الحرب الدائرة حول قضية زواج جليل من بنت(تربية بغداد) ، والحرب الأخرى حول زواجي لأنني "صار لي ست سنوات موظف من دون زواج".سيعلقون كل حادثة في البيت فيقرنونها بالزواج))[٧١] فمجتمع كالعراق الذي يتسم أفراده بتمسكهم بالقيم المكانية التي لا تتغير . بسهولة . بما يناسب تطور الزمان، في ظل تعدديات ثقافية يعمق صراع الأجيال مع آبائهم.

الخاتمة:

١_يتحدد الآخر على وفق تصورات الذات ومعرفتها الخاصة التي شكلتها عن الآخر في زمكان نسبي، فلا تطلق الأحكام المطلقة عليه وقف تصورات مسبقة، وهذا يعلل تغير الذوات وتغير وجهة نظرها تجاه آخرها.

٢_تمثل سميرة المانع الآخر كذات، فلا تفرض عليه نمطاً من التصورات المسبقة، وإن عمدت بعض الذوات إلى تنميط آخرها على وفق تصورات أولية بما فرضتها المرجعيات الثقافية في الزمكان المعين كأن يكون اليهودي المغاير الديني آخر بالنسبة إلى العربي في زمكان معين، إلا أنه ذات لها فاعليتها وهو ينظر إلى الذات العربية بأنه

الهوامش:

١ – ينظر: (أ) أبو الحسين، د. محمد، النص السردي المتمرد دراسة نقدية في تحولات الرواية الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨، ص ١٩٧.

(ب) هوكنغ، ستيفن، تاريخ موجز للزمان من الانفجار الكبير إلى الثقوب السوداء، تر: مصطفى إبراهيم فهمي، التنوير، ط ١،٢٠١٦، ص ٢٥ . ٢٦.

٢ – باختين، ميخائيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة دمشق . سوريا، ١٩٩٠، ص ٦.

٣– ينظر: برنس، جيرالد، قاموس السرديات، ميريت للنشر والمعلومات، ط ١،٢٠٠٣، ص ٣٢.

٤– ينظر:(أ) الخولي، يمنى ظريف، الزمان في الفلسفة والعلم، هنداوي، ص ١٩.

(ب) ديفنز، بول، المفهوم الحديث للمكان والزمان، تر: السيد عطا، سلسلة الألف كتاب، الهيئة الهيئة المصرية للكتاب والنشر، ص ١١.

٥– ينظر: (أ) باختين، ميخائيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩٠، ص ٦ . ٧.

(ب) الرويلي، د. ميجان، د. سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط ٣،٢٠٠٢، ص ١٧٢.

٦– ينظر: (أ) جنداري، د. إبراهيم، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ص ٢٠.

(ب) حمودة، د. حسين، الرواية والمدينة (نماذج من كتاب الستينيات في مصر) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٠، ص ٢٧٥.

٧– ينظر: كاظم، د. نادر، تمثيلات الآخر(صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١،٢٠٠٤، ص ٣١٣.

٨– ينظر: حمودة، ماجدة، إشكالية الأنا والآخر(نماذج روائية عربية)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣٩٨،٢٠١٣، ص ١٧.

٩– ينظر: (أ) ماجدولين، شرف الدين، الفتنة والآخر (أنساق الغيرية في السرد العربي) ، منشورات الاختلاف، ط ١، ص ٢٣ . ٢٤.

(ب) ريكور، بول، الذات عينها كآخر، تر: د. جورج زينان زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١،٢٠٠٩، ص ٦٠١ . ٦٠٢.

١٠ – ينظر:(أ) صالح، صلاح، سرد الآخر(الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، ص١٠.

(ب) كاظم، د. نادر، تمثيلات الآخر(صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)، مصدر سابق، ص٢٠.

١١– ينظر: الرويلي، د. ميجان، د. سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، مصدر سابق، ص ٢٢.

١٢- مكاريك، إيرينا ر، موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة (مداخل، نقاد، مفاهيم) ٣ مفاهيم، تر: حسن البنا عز الدين، المركز القومي للترجمة، ط ١،٢٠١٧، ص ٣٦١.

١٣- ينظر: ريكور، بول، الذات عينها كآخر، مصدر سابق، ص ٤٨٨.

١٤- ينظر: (أ) تودوروف، تزفيتان، فتح أمريكا (مسألة الآخر) ، تر: بشير السباعي، سنا للنشر ط ١، ١٩٩٦، ص ٢٢٣ . ٢٢٤.

(ب) صواب الله، عروبة جبار، التمثيل السردي للآخر في الرواية الخليجية (دراسة بنيوية في روايات منتقاة(١٩٩٠ ـ ٢٠١٥) أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة كلية الآداب، ٢٠١٩، ص٢٤.

١٥- ينظر: البازعي، سعد، مقاربة الآخر (مقارنات أدبية) ، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٩، ص ١٢.

١٦- ينظر: (أ) ماجدولين، شرف الدين، الفتنة والآخر (أنساق الغيرية في السرد العربي) ، مصدر سابق، ص ٢٥ . ٢٦

(ب) صالح، صلاح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية) ، مصدر سابق، ص ٥٤.

١٧- ينظر: صبري، عبد الفتاح، صورة الأنا والآخر في الرواية العربية (وقائع ملتقى الشارقة الثالث للرواية) دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط ١،٢٠١١، ص ٧٣ . ٧٤.

١٨- ينظر: الرويلي، د. ميجان، د. سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، مصدر سابق، ص ٢١ . ٢٢.

١٩- ينظر: لقمان، د. شاكر، شكل المكان وطبيعته الآخر في "مذكرات شاهد للقرن" للمفكر مالك بن نبي، مجلة إشكالات، العدد ٦،٢٠١٤، ص ٢٧١.

٢٠- ينظر: (أ) صواب الله، عروبة جبار، التمثيل السردي للآخر في الرواية الخليجية (دراسة بنيوية في روايات منتقاة (١٩٩٠ ـ ٢٠١٥)، مصدر سابق، ص ٢٤.

(ب) الحسون، محمد بن علي، صورة الآخر الحميم في رواية ساق البامبو، مجلة الخطاب، العدد ١٩،٢٠١٥، ص ٢١٩.؟

٢١ – ينظر: صواب الله، عروبة جبار، التمثيل السردي للآخر في الرواية الخليجية (دراسة بنيوية في روايات منتقاة ١٩٩٠ . ٢٠١٥)، مصدر سابق، ص ٢٤.

٢٢ – ينظر: (أ) لبيب، الطاهر، العربي ناظراً ومنظوراً إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، ط ١،١٩٩٩،٤٩١.

(ب) فاتن، مرسي، متع المنفى ومتاعبه في بعض أعمال إدوارد سعيد، مجلة ألف، العدد ٢٥، ٢٠٠٥، ص ٩٨.

٢٣ – ينظر: ماجدولين، شرف الدين، الفتنة والآخر (الأنساق الغيرية في السرد العربي)، منشورات الاختلاف، ط ١،٢٠١٢، ص ٦١.

٢٤- ينظر: الرويلي، د. ميجان، د. سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي،، ص ١٧٢.

٢٥- ينظر: سعيد، ادورد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) ، تر: د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع

٢٠٠٦، ص ٥٠٤.

٢٦- ينظر، لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم دراز، مجلة ألف، العدد ٨،١٩٨٧، ص ٦٩.

٢٧ - ينظر، ن. م. ص ٨٢.

٢٨- ينظر: كلافال، بول والمكان والسلطة، تر: د. عبد الأمير إبراهيم شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٠، ص ١٩.

٢٩- ينظر: أبو نافع، د. رامي سمير، الآخر وجودياً ومعرفياً (إضاءات فلسفية على حتمية التنوع) ، سلسلة فلسفة الشباب، ط ١،٢٠٢١، ص ١٧ . ١٨.

٣٠- ينظر، غانم، رولا خالد، الآخر في شعر المتنبي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس . فلسطين، ٢٠١٠، ص٨.

٣١- ينظر: إبراهيم، عبد الله، التخيل التاريخي (السرد، والإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١،٢٠١١، ص ٢٤٢.

٣٢ -المانع، سميرة، السابقون واللاحقون، دار العودة، بيروت . لبنان، ط ١،١٩٧٢، ص ٨٠.

٣٣- ن. م، ص ٨٠.

٣٤ - ن. م، ص ٨٠ . ٨١.

٣٥ - ن. م، ص ٨١.

٣٦- المانع، سميرة، شوفوني شوفوني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت . لبنان، ط ١،٢٠٠٢، ص ٧١ . ٧٢.

٣٧- المانع، سميرة، القامعون، المدى، ط ١،١٩٩٧، ص ٣٨.

٣٨ - ن. م، ص ٣٨ . ٣٩.

٣٩- ن. م، ص ٤٠.

٤٠ - ن. م، ص ٥٩ . ٦٠.

٤١- كذا كتبت والصواب: بتوأده.

٤٢ - ن. م، ص ٦١.

٤٣- المانع، سميرة، السابقون واللاحقون، ص ٢١.

٤٤- ن. م، ص ٢٢.

٤٥- ن. م، ص ٢٢ . ٢٣.

٤٦- المانع، سميرة، شوفوني شوفوني، ص ١٦١.

٤٧- ن. م، ص ١٦١.

٤٨- المانع، سميرة، الثنائية اللندنية، لندن، ط ١، ١٩٧٩، ص ٩.

٤٩- ن. م، ص ٩.

٥٠- ن. م، ص ١٤.

٥١- المانع، سميرة، شوفوني شوفوني، ص ٨٢.
٥٢- المانع، سميرة، ثنائية اللندنية، ص ٦٦.
٥٣- ن. م، ص ٦٦.
٥٤- المانع، سميرة، شوفوني شوفوني، ص ٥٨ . ٥٩.
٥٥- ن. م، ص ٥٩.
٥٦- ن. م، ص ٥٩.
٥٧- ن. م، ص ٦٠ . ٦١.
٥٨- المانع، سميرة، السابقون واللاحقون، ص ٢٧.
٥٩- ن. م، ص ٢٧.
٦٠- ن. م، ص ٥٨ . ٥٩.
٦١- المانع، سميرة، حبل السرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١،٢٠١٣، ص ٤٢.
٦٢- ن. م، ص ٤٣.
٦٣- المانع، سميرة، السابقون واللاحقون، ص ٩.
٦٤- ن. م، ص ٩ . ١٠.
٦٥- المانع، سميرة، الثنائية اللندنية. ص ٩٤.
٦٦- ن. م، ص ٩٤.
٦٧- حبل السرة، ص ١٨ . ١٩.
٦٨- المانع، سميرة، سابقون واللاحقون، ص ١٩.
٦٩- ن. م، ص، ٨٩.
٧٠- من لا يعرف ماذا يريد، المدى، بغداد، ط ١،٢٠١٠، ص ١٢٩.
٧١- ن. م، ص ١٢٩.

قائمة المصادر والمراجع:

١_ابراهيم، عبد الله، التخيل التاريخي (السرد، والامبراطورية، والتجربة الاستعمارية)
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١،٢٠١١.
٢_أبو الحسين، د. محمد، النص السردي المتمرد دراسة نقدية في تحولات الرواية الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨.
٣_أبو نفاع، د. رامي سمير، الآخر وجودياً ومعرفياً (إضاءات فلسفية على حتمية التنوع) ، سلسلة فلسفة الشباب، ط ١،٢٠٢١.
٤_باختين، ميخائيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩٠.

٥_البازعي، سعد، مقاربة الآخر (مقارنات أدبية) ، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٩.
٦_برنس، جيرالد، قاموس السرديات، ميريت للنشر والمعلومات، ط ١،٢٠٠٣.
٧_تودوروف، تزفيتان، فتح امريكا (مسألة الآخر) ، تر: بشير السباعي، سنا للنشر ط ١، ١٩٩٦.
٨_جنداري، د. إبراهيم، الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط ١.
٩_الحسون، محمد بن علي، صورة الآخر الحميم في رواية ساق البامبو، مجلة الخطاب، العدد ١٩،٢٠١٥.
١٠_حمودة، د. حسين، الرواية والمدينة (نماذج من كتاب الستينيات في مصر) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٠.
١١_حمودة، ماجدة، اشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣٩٨،٢٠١٣.
١٢_الخولي، يمنى ظريف، الزمان في الفلسفة والعلم، هنداوي.
١٣_ديفنز، بول، المفهوم الحديث للمكان والزمان، تر: السيد عطا، سلسلة الالف كتاب، الهيئة، الهيئة المصرية للكتاب والنشر.
١٤_الرويلي، د. ميجان، د. سعد البازعي، دليل الناقد الادبي، المركز الثقافي العربي، ط ٣،٢٠٠٢
١٥_ريكور، بول، الذات عينها كآخر، تر: د. جورج زينان زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١،٢٠٠٩.
١٦_سعيد، ادورد، الاستسراق (المفاهيم الغربية للشرق) ، تر: د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
١٧_صالح، صلاح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي.
١٨_صبري، عبد الفتاح، صورة الانا والآخر في الرواية العربية (وقائع ملتقى الشارقة الثالث للرواية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط ١،٢٠١١.
١٩_صواب الله، عروبة جبار، التمثيل السردي للآخر في الرواية الخليجية (دراسة بنيوية في روايات منتقاة (١٩٩٠ ـ ٢٠١٥) أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة كلية الآداب، ٢٠١٩.
٢٠_غانم، رولا خالد، الآخر في شعر المتنبي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس ـ فلسطين، ٢٠١٠.
٢١_فاتن، مرسي، متع المنفى ومتاعبه في بعض أعمال إدوارد سعيد، مجلة ألف، العدد٢٥،٢٠٠٥.
٢٢_كاظم، د. نادر، تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١،٢٠٠٤.
٢٣_كلافال، بول والمكان والسلطة، تر: د. عبد الامير ابراهيم شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٠.
٢٤_لبيب، الطاهر، العربي ناظراً ومنظوراً اليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط ١،١٩٩٩.

٢٥_لقمان، د. شاكر، شكل المكان وطبيعته الآخر في "مذكرات شاهد للقرن" للمفكر مالك بن نبي، مجلة إشكالات، العدد ٦.
٢٦_لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم دراز، مجلة الف، العدد ٨،١٩٨٧.
٢٧_ماجدولين، شرف الدين، الفتنة والأخر (الانساق الغيرية في السرد العربي)، منشورات الاختلاف، ط ١،٢٠١٢.
٢٨_المانع، سميرة، الثنائية اللندنية، لندن، ط ١، ١٩٧٩.
٢٩_المانع، سميرة، حبل السرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١،٢٠١٣.
٣٠_المانع، سميرة، السابقون واللاحقون، دار العودة، بيروت . لبنان، ط ١،١٩٧٢.
٣١_المانع، سميرة، شوفوني شوفوني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت . لبنان، ط ١،٢٠٠٢.
٣٢_المانع، سميرة، القامعون، المدى، ط ١،١٩٩٧.
٣٣_من لا يعرف ماذا يريد، المدى، بغداد، ط ١،٢٠١٠.
٣٤_مكاريك، إيرينا ر، موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة (مداخل، نقاد، مفاهيم) ٣ مفاهيم، تر: حسن البنا عز الدين، المركز القومي للترجمة، ط ١،٢٠١٧.